

مجلة العلوم وفاق المعارف

Journal of Science and Knowledge Horizons

ISSN 2800-1273-EISSN 2830-8379

الاستيطان الزراعي الإسباني بالريف الشرقي المغربي (1912-1956)

Spanish agricultural settlement in the eastern Moroccan Rif (1912-1956)

محمد بنعلي، الكلية متعددة التخصصات تازة، (المغرب)،

benali.1980@hotmail.com مختبر المجال، التاريخ، الدينامية والتنمية المستدامة.

<https://orcid.org/0009-0007-7082-8312>

تاريخ النشر: 2023/06/01

تاريخ القبول: 2023/05/11

تاريخ ارسال المقال: 2023/03/02

الملخص:

يعالج المقال موضوعا مهما من تاريخ الاحتلال الأجنبي للمغرب، فموضوع الاستيطان الزراعي شكّل الأساس الذي قام عليه المشروع الاستعماري بالمنطقة، إذ لم يكن بمقدور المستعمر الاستمرار في احتلال واستغلال ثروات المغرب دون استيطان الأرض، لذا كانت بدايات الاستعمار بمصادرة أراضي الأهالي وتوزيعها على المستوطنين الأوروبيين، ليحدث أكبر تحول في البنيات الزراعية، فملأوا الأراضي الحقيقيون لم يعودوا كذلك بعد دخول المستعمر، والأمّر من ذلك أن الأرض لن تُعاد لهم بعد الاستقلال، بل سلّمت لمالكين جدد، مما أحدث أكبر تحول في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب، ولفهم الموضوع أكثر سنعمد لدراسة حالة سهل الكارت بالريف الشرقي المغربي، باعتباره نموذجا للاستيطان الزراعي الإسباني، كما أن تجليات ذلك لا زالت قائمة .

الكلمات المفتاحية: سهل الكارت؛ الريف الشرقي؛ قبيلة بني بويحيي؛ الاستيطان الزراعي؛ إسبانيا

Abstract:

The article deals with an important topic from the history of the foreign occupation of Morocco, the issue of agricultural settlement formed the basis on which the colonial project was based in the region, as the colonizer could not continue to occupy and exploit the wealth of Morocco without settling the land, so the beginnings of colonialism were the confiscation of the lands of the people and their distribution to European settlers, to make the biggest transformation in agricultural structures, the real landowners were no longer so after the entry of the colonizer, and the matter is that the land will not be returned to them after independence, but handed over to new owners, which The greatest transformation in the economic and social history of Morocco, and to understand the subject more, we will study the case of the Kart plain in the eastern Moroccan countryside, as a model for Spanish agricultural settlement, and the manifestations of this still exist today.

Keywords: Plain of Garet; Beni Bouyahie tribe; Eastern Rif; Agricultural settlement; Spanish.

مقدمة:

يعتبر الاستيطان الزراعي من أهم مقومات المشروع الاستعماري خلال القرن العشرين، فمصادرة أراضي الأهالي وتوزيعها على المستوطنين؛ شكلت وسيلة أساسية لإحكام المستعمر قبضته على أراضي الدول المستعمرة، ومن المعلوم أن المغرب قد خضع للاستعمارين الفرنسي والإسباني منذ سنة 1912م، لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخه تميزت بخلخلة بنياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

خضع الريف الشرقي المغربي للاستعمار الإسباني منذ سنة 1909، فشكّل ذلك بداية لاستيطان أراضيه الفلاحية، وسنعمد في هذه المقال على دراسة الاستيطان الزراعي بسهل الكارت، باعتباره أكبر السهول المسقية بالريف الشرقي المغربي، لتعرف على مظاهر هذا الاستيطان وأسسها، وصولاً إلى تبيان انعكاساته الإنسان والأرض.

إشكالية البحث:

شكّل الاستيطان الزراعي في فترة الحماية الفرنسية الإسبانية على المغرب مرحلة تاريخية حسّاسة، وذلك بالنظر لتأثيراتها الكبيرة، فالاستيطان كان سبباً في تغيير كثير من التوازنات الاجتماعية بالمغرب، إذ بسببه ظهرت بورجوازية استعمارية بديلة لملاك الأرض الأصليين من الأهالي، كما أن خروج المستعمر الإسباني من سهل الكارت بشمال شرق المغرب سيحوّل الأراضي لملكية عدد من المغاربة المتعاونين مع المستعمر، من هنا ارتأينا في هذا المقال معالجة إشكالية الاستيطان الزراعي في علاقته بملكية الأرض بالمغرب، وذلك من خلال دراسة حالة سهل الكارت بالريف الشرقي، وسيكون ذلك عبر الإجابة عن الأسئلة الآتية:

كيف استوطن الإسبان أراضي سهل الكارت بالريف الشرقي المغربي؟

وما دور المستعمر الإسباني في التحولات التي حصلت لملكية الأرض بالكارت؟

منهجية البحث:

سنعتمد في هذا البحث على المنهج التاريخي لإبراز خصوصيات الاستيطان الزراعي بشمال المغرب خلال فترة الاحتلال الإسباني، وسنستعين بكتابات تاريخية إسبانية وفرنسية ومغربية، ولعل في تنوع مراجع البحث أهمية قصوى، إذ ستساعدنا معطياتها في فهم أكثر موضوعية للاستيطان الزراعي خلال الفترة الاستعمارية.

يشكل العمل الكارطوغرافي وسيلة أساس في تحديد الظاهرة المدروسة، والمطروحة كإشكالية للموضوع، وذلك عبر التقنيات الحديثة للحاسوب (نظم المعلومات الجغرافية Arc Gis) مما يساعد على إنجاز خرائط كارطوغرافية تعمل على مقارنة الموضوع بطريقة فعالة، وكذا تمكنا من تحديد أفضل للمجال المدروس.

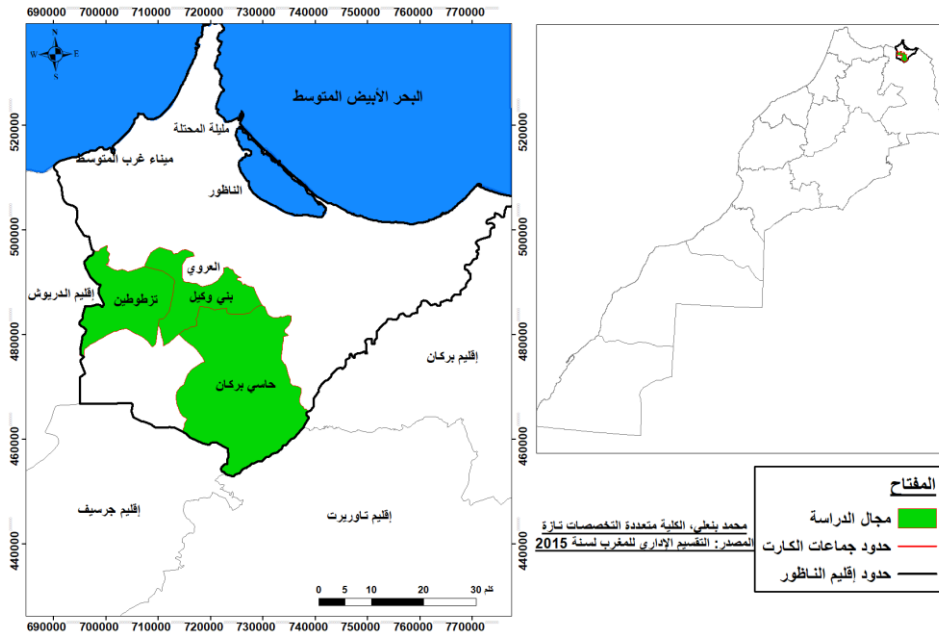
أهداف البحث:

نصبو من خلال هذه الدراسة إلى كشف الغموض عن موضوع حسّاس من تاريخ المغرب المعاصر، فالاستعمار الفرنسي الإسباني للمغرب ساهم في تغيير كثير من ملامح المغرب الاقتصادية والاجتماعية، بما يخدم مصالحه ومصالح عملائه، ولعل موضوع الاستيطان الزراعي يدخل في خانة هذه المواضيع، إذ بسببه فقد الكثير من المغاربة أراضيهم وتحولت للمستوطنين، وبعد استقلال المغرب انتقلت ملكيتها لمغاربة متعاونين مع الاستعمار.

المبحث الأول: موقع مجال الدراسة

يعتبر سهل الكارت من أكبر سهول الضفة اليسرى لمهوية السفلى (15500 هكتار)، وينتمي ترابيا إلى الريف الشرقي (إقليم الناظور)، كما تشرف عليه إداريا الجماعة الحضرية العروي، وتتقاسم أراضيها إداريا ثلاث جماعات ترابية وهي: جماعة تزطوطين وجماعة بني وكيل وأولاد محند وجماعة حاسي بركان. يحتل سهل الكارت موقعا مهما بالقرب من مطار العروي الدولي، وميناء بني أنصار إلى جانب ميناء الناظور غرب المتوسط (في طور الإنشاء)، ويبعد عن مدينة الناظور بحوالي 20 كلم في جنوبها الغربي.

الخريطة 1: الموقع الجغرافي لسهل الكارت بالريف الشرقي المغربي كمجال للدراسة



المطلب الأول: الاستيطان الزراعي الإسباني بالكارت وسيلة للاستغلال ولتعزيز التفاوتات بين المستوطنين والأهالي من قبيلة بني بويحيى

احتلت الأرض مكانة مهمة في الخطاب الاستعماري، كما لعبت دورا متميزا في دينامية اقتصاد الدول الامبريالية كإسبانيا، فالأرض مصدر المنتجات الاستهلاكية والمواد الأولية، وهي مجال حيوي مهم لتصريف الفائض البشري خاصة من الفقراء الإسبان، كما أنها مصدر السلطة واكتساب المزيد من القوة، وقد صرح المهندس الزراعي الإسباني Munoz Aciselo سنة 1930 بالقول: «أن الزراعة تشكل عاملا مهما لمستقبل الاستعمار الإسباني بالمغرب¹»، ولعل في هذا الكلام ما يبرز أهمية الزراعة في المشروع الاستعماري لا سيما وأنه صادر عن متخصص في المجال الزراعي، وهو الكلام ذاته الذي أكدّه المهندس Fernando Iniguez الذي زار الريف الشرقي وأعدّ تقريراً قال فيه: «إن الأراضي الموجودة جنوب جبال كوركوكو تتميز بجودة عالية»،² ومن تلك الأراضي نجد سهل الكارت حيث أشارت كل التقارير الإسبانية إلى أهميته في المشروع الاستيطاني الإسباني، لذا نجد أن هذه التقارير الصادرة عن التقنيين الإسبان شكلت مصدر تشجيع للسلطات الاستعمارية الإسبانية وللمستوطنين قصد القدوم إلى الريف واستعمار أراضيه .

لابد من الإشارة إلى أن مسألة تملك الأرض في المغرب شكلت نقطة جوهرية في العلاقات المغربية الأوروبية خلال القرن التاسع عشر، واعتبر استيطانها من أهم الأدوات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي ارتكزت عليها الدول الإمبريالية لإحكام السيطرة على المغرب وتقويض دعائمه الاقتصادية والاجتماعية. ولذلك حظيت هذه المسألة باهتمام معاهدة مدريد لسنة 1880م والتي أعطت إجابات واضحة لقضية تملك العقار من طرف الأجانب المقيمين في المغرب، وذلك من خلال مقتضيات المادة 11 التي حددت مجال التملك أو الكراء للأراضي بشقيها القروي والحضري³. وبهذه الطريقة بدأ التغلغل الأجنبي والإسباني خاصة يتسرب إلى القرى المغربية ومنها إلى سهل الكارت، وجاء مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 ليعزز ما جاء في مؤتمر مدريد فأعطى للأجانب حق امتلاك الأراضي في كل أرجاء المغرب، لتبدأ عملية غزو المستوطنين للقرى المغربية، ففي فاتح يناير 1912م أصبحت الملكية القروية للأوربيين تغطي أكثر من 101000 هكتار مقسمة على 524 من الملاك⁴.

المطلب الثاني: المستوطنون الإسبان في سهل الكارت :جنود إسبان في ثوب مزارعين

شكل المستوطنون مسألة أساسية في الاستعمار الفرنسي الإسباني للمغرب، «فعندما سقط المغرب تحت الاحتلال، كانت الإدارة الاستعمارية تدرك أن وجودها سيظل مهزوزا ما لم يستند إلى دعامة من المستوطنين المزارعين، يضربون جذورهم في أعماق التربة المغربية⁵»، فالمستوطنون الإسبان بدأوا يتوافدون على الريف منذ القرن 19م، مستفيدين من الامتيازات التي حصلت عليها إسبانيا بموجب معاهدة تطوان سنة 1860 بعد انتصارها على المغرب. وتُعتبر المؤرخة الإسبانية Madariaga ، من أكثر الباحثين الإسبان تناولاً لمسألة الاستيطان الإسباني في المغرب، فهي تتحدث عن أربع مؤتمرات نظمتها المراكز التجارية الإسبانية المغربية "Centros Comerciales Hispano-Marroquies" في الفترة ما بين 1907-1909،

تحت عنوان : "الهجرة"، والذي استبدل منذ 1909 في فالنسيا بعنوان: "الاستيطان"، وفيه تم التأكيد على حماية المستوطنين من طرف القوات العسكرية الإسبانية، والتزام الدولة بتقديم كل التسهيلات الممكنة لهم، مع تحملها كل مصاريف الهجرة⁶، كما شجعت الصحافة الإسبانية هجرة المستوطنين إلى المغرب وخاصة صحيفة «El Telegrama del Rif» والتي نظمت خلال الفترة من 1910 إلى 1911 حملة إخبارية واسعة لتشجيع الإسبان على الهجرة إلى المغرب والاستثمار في المناطق الزراعية القريبة من مليلة⁷.

بدأ الاستيطان الزراعي بالريف الشرقي سنة 1914 مع الجنرال جوردانا "Jordana"⁸ حيث أسس شركة استيطانية بمليلة، للإشراف على عمليات الغزو العسكرية بموازاة مع مصادرة أراضي الأهالي، فكان بذلك المستوطن "Colon" يمثل جزءا أساسيا من العمليات الاستعمارية، يسير جنبا إلى جنب مع العسكري، وهذا ما أكدته المرحلة الأولى من الاستعمار الإسباني والممتدة من 1912 إلى 1927 حيث «لم يستطع المستوطنون الاستقرار في البوادي وإنما استقروا في البداية في مراكز استعمارية صغيرة على شكل مجموعات، كانوا يحملون السلاح ويشاركون الجنود في معاركهم ضد قبائل الريف⁹»، وقد استمر هذا الوضع إلى حين القضاء على مقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي.

والملاحظ في بدايات الاحتلال الفرنسي الإسباني لأراضي المغرب، أن الدولتين الاستعمارييتين كانتا تقيمان مراكز عسكرية في المناطق الزراعية الخصبة، كمراكز أمامية، وعندما يستتب الأمن لقواتهما الغازية في المنطقة يتحول الموقع العسكري إلى مركز للاستيطان الزراعي¹⁰، وهذا الوضع وجدناه في سهل الكارت أيضا، إذ مباشرة بعد احتلاله باعتباره منطقة سهلية واسعة، أقامت إسبانيا في البداية مركزا عسكريا شكل قاعدة لانطلاق عملياتها ضد القبائل المقاومة، وخاصة قبيلة بني بويحيي، وفيه وقعت معركة "عهد أوعروي" التي أشرنا إليها سلفا، غير أنه مباشرة بعد انتهاء مقاومة الريف، تم تحويل المركز العسكري إلى مركز فلاحى، لا زال قائما في نفس المكان إلى اليوم، ويحمل حاليا رقم 126.

بعد القضاء على المقاومة سنة 1927 سيشهد الريف توافدا للمزيد من المستوطنين الإسبان القادمين من مليلة المحتلة ومن إسبانيا وغالبيتهم من الفقراء، كما أن عددا مهما منهم جاء من الجزائر وبالضبط من وهران التي هاجروا إليها خلال القرن التاسع عشر للعمل في مزارع الفرنسيين¹¹، فالريف بالنسبة إليهم فرصة اقتصادية مهمة لتحسين أوضاعهم الاجتماعية، فإلى حدود سنة 1916 لم يكن عدد المستوطنين الإسبان بالريف يزيد عن بضعة آلاف¹²، غير أن الامتيازات التي ستعطى لهم ستجعل أعدادهم في تزايد، «فمصالح المستوطنين المزارعين كانت فوق كل اعتبار، ولم تكن تصمد أمام نزواتهم وأطماعهم أقوى الاعتبارات الإنسانية أو الأخلاقية¹³»، شكلوا فئة مدللة، ومطالبهم لم تكن لها حدود، فهي تبدأ عادة بالمطالبة بالأرض ثم بالقروض اللازمة بفائدة تقترب من الصفر، لتجهيز الأرض واقتناء المواد الأولية من بذور وسماد، وتلبية الحاجيات اليومية للمزارع، ثم المطالبة بالضغط على اليد العاملة المغربية بمختلف الوسائل، لجعلها في وضعية من البؤس يُجبرها على قبول أجور بخسة. وعندما

تحدث أزمة في الفلاحة الكولونيلية ترتفع أصوات المستوطنين وأنصارهم للمطالبة بإلغاء الديون على المزارعين أو تخفيضها¹⁴، فامتيازات المستوطنين شملت جميع المناطق الاستعمارية في المغرب سواء الفرنسية أو الإسبانية، لكن ما السر وراء كل هذه الامتيازات التي حصل عليها المستوطنون في المغرب وبالأخص في سهل الكارت؟

تكمن أهمية الاستيطان الزراعي في المغرب في كونه شكل استمرارا لعمل السلاح، إذ كان المستوطنون المزارعون يسبغون في عصابات مسلحة خلف القوات الغازية التي تتولى إبادة ومطاردة السكان، لتييح المجال لهم للحصول على أملاك فلاحية، فدونهم لن يكون هناك استعمار، وبفضلهم يتحقق الهدف الأساس من الاستعمار وهو الاستغلال، فهم فئة مغامرة تغادر أوروبا متجهة إلى بلاد مجهولة، كما أنهم على علم بالمخاطر التي قد تتهددهم، وهم متيقنون من أن مصيرهم سيكون بين أمرين: إما الموت على يد المقاومة أو الاستفادة من خيارات البلاد المستعمرة، ففي اعتقادنا أن المستوطنين الأوروبيين خلال القرن العشرين يشبهون إلى حد بعيد أجدادهم الذين غادروا أوروبا في سفن بسيطة لاكتشاف العالم الجديد، وكان هدفهم الربح وإن إبادة الأهالي واستغلال خيارات الشعوب الضعيفة، فالإكتشافات الجغرافية والاستعمار وجهان لعملة واحدة، أساسها الاعتداء على الغير ونهب خيراته، فأدى ذلك إلى اغتناء الأوربي (المكتشف والمستوطن) في حين تعرض الأهالي للتفجير. وقد وصف المقيم العام "ثيودور ستينغ" بعض المستوطنين بالمغامرين الجريئين، « يمارسون المضاربات، وبعضهم يستغل ضعف الفلاحين المغاربة، ويحصل الآخرون على الأموال من كل شيء من البؤس والمرض والقحط، وبعضهم جمع ثروة من الخراب»¹⁵، حُثب المستوطنين وجشعهم واضح في كلام المقيم العام، فالمال يتم جمعه بشتى الطرق، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة.

تمكن المستوطنون الإسبان من السيطرة على مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية بسهل الكارت، فالمساحة الإجمالية التي احتلتها إسبانيا في شمال المغرب زادت عن 23000 كلم²، منها فقط 100000 هكتار مستغلة في الزراعة إلى حدود عشرينيات القرن العشرين¹⁶. وقد أقر الإسبان بأهمية سهل الكارت بحكم قربه من مليلة المحتلة منذ سنة 1497م، وكذا لشساعة أراضيه، إذ يعتبر أكبر سهول الريف الشرقي مساحة، وتقر MADARIAGA بذلك، بل وتعتبر الكارت من الأسباب التي دفعت بالإسبان إلى تغيير توجههم الاستغلالي من التركيز كليا على المناجم إلى الاهتمام بالقطاع الزراعي، فكانت المساحة المستولى عليها بسهل الكارت فقط تزيد عن 27000 هكتار، (أي ما يعادل 27% من إجمالي الأراضي المستغلة من طرف إسبانيا في شمال المغرب)، وكانت موزعة بين أراضي الشركات الزراعية الإسبانية الاستعمارية، وبين أراضي المستوطنين. وفي إطار بحثنا عثرنا في أرشيف المركز الفلاحي بالعروي على وثائق تؤرخ لأسماء بعض المستوطنين الإسبان بالكارت، وحجم الأراضي التي سيطروا عليها.

الجدول (1) أسماء بعض المستوطنين الإسبان بسهل الكارت ومساحة الأراضي المستولى عليها إلى حدود

1956

المساحة المستولى عليها بالهكتار	اسم الكولون (المستوطن)
100	Benaroche Kamia Sengaken
16.22	Joakin Garcia Saiez
200	Bratto Gonzalez Emilio
19.84	Sanchez Parra Bartolone
0.06	Cutillas Hurtado Francisco
100	Chokroun Benzaken Cohen
18	Antonio Argana Jurado
110.51	Canamaque Linarez Jose
157.30	Teodora Riqueline Cortes
200	Saadia Ben Guigui Deliliti
53.65	Mme Antonia Sanchez Gemados
49.25	Chekroun Garcia Saadine
49.25	Elias Mimoun Chokroun
35	Salas Cremadez Hortansia
200	Casanowa Boura Manuel
17.34	Rogui Sanchez Requeline
25.49	Carmen Villanueva Perez
107.30	Riqueline Cartes Aedora
44.80	Emilio Sanchez Cortes et Consorts
46	Salas Gremades Edvergia
20	Sanchez Requeline Miquel
1.26	Jesefa Salas Grenades
41.08	Jose Martinez Parra
8.50	Hernandez Rodriguez Angel
12.42	Rodriguez Anton Manuel
200	Manuel et Jose Cavanova Benora
6.22	Mme Francisco Baj Carrion Veuve Cutillas Hertansir Francisco et Consorts
10.50	Baj Carrion Antonia et Francisco
17	Rodriguez Anton Manuel
100	Sanchez Para Placido

35.52	Cremades Mollard Andrea
2.20	Bravo Conzaes Emilio
100	Csanova Bonord Manuel
214	Sanchez Para Roque
20	Sanchez Parra Placido
9.25	Der Barrio Ruiseco Eusedi
199	Chocron Benzaquen
90.25	Dolores Martinez Para et sa fille Maria Dolores Merrono
322.69	Riuz Lopez Domingo
7.5	Planes Naranjo Navarro
250	Guillermo Benter Zuissig
99.10	Sanchez Parra Pacido
22.05	Cutelios Virtad
250	Casanova Bonora Manuel
25	Sanchez Requelme Maria
7.93	Romero Rubi Remaldo
10	Sanchez Requeline Miguel
250	Casanova Bonora Manuel
0.52	Vera Martinez Cristobal
14.02	Planes Zamora Francisco
8.91	Minoz Sanchez Antonio
10	Sanchez Reimuldo Juan
6	Jimenez Velacio Manuel
0.50	Granada Zamora Jose
25	Garcia Sanchez Luiza
100	Perez Sanchez Felimeng
21	Sanchez Parra Bartolome
14.94	Taourel Jacob Hassan
100	Allegría Benaroche
0.05	Boj Barres Francisco
16.59	Verie Amores Vicente

140.26	Roque Sanchez Riquelme
511.06	Cohen Benchimon Samuel
53.55	Sanchez Granades Antonio
4903,88 هكتارات	64 مستوطنا

المصدر: أرشيف المركز الفلاحي بالعروي، 2018

نشير بداية إلى أن المعطيات الواردة في الجدول لا تعني كل المستوطنين بسهل الكارت، كما أن المساحة في الجدول لا تعبر عن إجمالي المساحة المستغلة من طرفهم خلال الفترة الاستعمارية، ومع ذلك فالجدول يعتبر سنداً تاريخياً مهماً لما سبق لنا الإشارة إليه، من أهمية الكارت في المشروع الاستعماري الإسباني، كما يحيلنا الجدول على أرقام غاية في الأهمية منها: ارتفاع متوسط الأراضي لكل مستوطن، فمعطيات الجدول تتحدث عن 64 مستوطن يملكون أزيد من 4903,88 هكتار، بمتوسط 76,62 هكتار لكل مستوطن وهو رقم كبير، ساهم في نقل هؤلاء المستوطنين من فئة فقيرة إلى فئة غنية ستشكل فيما بعد الطبقة البورجوازية في إسبانيا. كما أن مساحة بعض المستوطنين زادت عن 511 هكتار وهذا حال المستوطن Cohen Benchimon Samuel. وقد قسمت المؤرخة الإسبانية MADARIAGA المستوطنات الزراعية بالريف الشرقي خلال الفترة الاستعمارية الإسبانية على الشكل الآتي.

الجدول (2) توزيع حجم المستوطنات الزراعية بالريف الشرقي خلال الفترة الاستعمارية الإسبانية

نوع المستوطنات الزراعية	المساحة بالهكتار
مستوطنة صغيرة	50 - 100
مستوطنة متوسطة	100 - 300
مستوطنة كبيرة	300 - 500 وأكثر

(Madariaga Maria Rosa, 1988, p. 382)

يؤكد الجدول ما أشرنا إليه من قبل حيث تهيمن المستوطنات الكبيرة على الأراضي الزراعية بالريف الشرقي، وبالأخص بسهل الكارت، فلم يكن بإمكان المستوطن الإسباني أن يقنع بمستوطنة صغيرة، فأصغر المستوطنات كانت مساحتها تصل إلى 50 هكتاراً، وهي مساحة تسمح بتوفر الحد الأدنى للاغتناء السريع، فهم على علم بأن تواجدهم في المغرب مؤقت، سينتهي سريعاً عند نيل البلاد استقلالها، لذا كان لابد لهم من بذل أقصى الجهود لتحقيق أهدافهم الاستعمارية عبر امتلاكهم لأكبر المساحات الزراعية.

ونشير أيضاً إلى حضور اليهود ضمن المستوطنين الإسبان فبلغ عددهم 7 يهود (حسب المعطيات المتوفرة) يملكون 923,5 هكتار بمتوسط 131,92 هكتار لكل واحد منهم، فرغم قلة عددهم إلا أنهم استطاعوا

امتلاك مساحة شاسعة بالكارت حيث زادت عن 18,83 % من إجمالي المساحة المستولى عليها بالكارت رغم أنهم لم يمثلوا سوى نسبة 10,93 % من المستوطنين بسهل الكارت . وإلى جانب المستوطنين لعبت الشركات الاستيطانية دورا رئيسيا في عمليات الاستغلال الزراعي الذي تعرض له سهل الكارت وعموم الريف الشرقي خلال الفترة الاستعمارية.

المطلب الثالث: الشركات الزراعية الاستيطانية وسيلة لتجسيد المخططات الاستعمارية في سهل الكارت

مباشرة بعد التدخل العسكري الإسباني بالريف بدأ الاستغلال الاستعماري لخيرات الريف، وقد انصب منذ البداية على الثروات المعدنية وخاصة الحديد، لكن سرعان ما تحول إلى قطاعات إنتاجية أخرى مهمة كالزراعة، فكانت الأرض مصدرا لاغتناء الإسبان على حساب أبناء المنطقة، وهنا ستظهر شركات استعمارية إسبانية متخصصة في الزراعة، حصلت على دعم كبير من الحكومة الإسبانية، على اعتبار أنها الممثل الاقتصادي الرسمي لها في الريف، وقد امتلكت أراضي واسعة في عموم الريف الشرقي وخاصة بالكارت .

الجدول (3) الشركات الزراعية الاستيطانية الإسبانية بسهل الكارت خلال الفترة الاستعمارية

الرقم الترتيبي	شركات الاستيطان الزراعي الإسباني بالكارت.		المساحة بالهكتار
	الاسم الأصلي للشركة	مقابلها باللغة العربية	
1	Fomento Agricola Maroqui	التجهيز الزراعي المغربي	8562.91
2	Sociedad financiera Del Rif	الشركة المالية للريف	3133
3	Sociedad de ravitaillement d'alhucima	شركة الامدادات للحسيمة	199.08
4	Abastesodora Del Hoceima S.A	شركة التوريد الحسيمة (شركة متعددة الأطراف المساهمين)	199.08
5	Compagnie Espagnole de colonisation-	الشركة الإسبانية للاستيطان	70.02
6	Compagnie commerciale S.A-	الشركة التجارية (شركة متعددة الأطراف المساهمين)	27.97
المجموع	6 شركات استيطانية زراعية		12192

(أرشيف المركز الفلاحي بالعروي، 2018)

لقد اعتمدنا على أرشيف المركز الفلاحي بالعروي لاستخلاص أسماء الشركات الاستيطانية التي أنشأتها إسبانيا بالريف، قصد استغلال خيراته الزراعية، والجدول يقدم لنا معطيات عن الشركات التي استغلت سهل الكارت، حيث تم حصرها في ست شركات، سيطرت على مساحة بلغت 12192 هكتارا، ونعتقد أن الرقم يزيد عن هذا بكثير، وقد أشار رشيد يشوتي إلى امتلاك الشركة الإسبانية للاستيطان بالكارت أراضي زادت مساحتها

عن 27000 هكتارا¹⁷، في حين أن الجدول يحصر مساحة هذه الشركة في 70 هكتارا فقط، وما يهمنا في هذا الصدد هو إبراز أهمية هذه الشركات في التحولات الفلاحية التي شهدتها السهل، لذا لا بد لنا من الحديث عن أكبر هذه الشركات ممثلة في الشركة الإسبانية للاستيطان (Campania Espanola de Colonizacion) وهي واحدة من ست شركات كبرى استعمارية إسبانية تم إنشاؤها بالشمال المغربي بهدف الاستثمار في خيرات المنطقة. وكانت لهذه الشركة مقرات في عدة مدن مغربية شمالية، منها الناظور وطنجة، العرائش وسبتة، تطوان إضافة إلى مليلة¹⁸.

الصورة (1) لوحة تعريفية بالشركة الإسبانية للاستيطان



Source: (<https://www.todocoleccion.net>, (Consulté le : 20-06-2020))

الصورة أعلاه تؤرخ لمرحلة تأسيس الشركة الإسبانية للاستيطان، وهي شركة مساهمة، تأسست بمنطقة الحماية الإسبانية في شمال المغرب بتاريخ 29 يناير من سنة 1916، وتضم فرعان: الأول بالناظور، والثاني بتطوان. بلغ الرأسمال الإجمالي للشركة 10 ملايين بسيطة إسبانية، موزعة على مجموعة من المساهمين الإسبان واليهود ومعهم مغربي واحد، وقد أورد اليشوتي نقلا عن MADARIAGA أسماء لمؤسسي هذه الشركة.

الجدول (4): أسماء وجنسيات مؤسسي "الشركة الإسبانية للاستيطان"

Source : (Madariaga Maria Rosa, 1988, p. 378)

الأسماء	الوظيفة	الجنسية
---------	---------	---------

إسباني	رئيس الأشغال في ميناء مليلة	بيسير (Becera)
إسباني	رئيس غرفة التجارة في مليلة	باولو فاليسكا (Paolo Vallesca)
إسباني	رئيس شركة المعادن بالريف	أليخاندرو كاندارياس (Alegandro Gandarias)
إسباني	عضو المجلس الإداري لشركة المعادن بالريف	خوان أنطونيو كويل (Juan Antonio Guell)
إسباني	عضو المجلس الإداري لشركة المعادن بالريف	كارلوس ليفينسون (Carlos Levinson)
إسباني	مدير شركة المعادن بالريف	رافاييل دو رودا خيمينيز (Rafael de Roda Jimenez)
إسباني	مهندس في شركة المعادن بالريف	كيليرمو بروس (Guillermo Preus)
إسباني	مهندس وإداري في شركة المعادن بالريف	ألفونسو ديل فال (Alfonso del Valle)
إسباني	عضو إدارة الضرائب بمليلة	كارلوس إيزاكير (Carlos Izaguirre)
إسباني يهودي	من أغنياء تجار ومقاولي مليلة	إسحاق بناروش (Issac Benarroch)
إسباني يهودي	من أغنياء تجار مليلة	ليفي كوهن (Levy Cohen)
إسباني يهودي	إطار بنكي بمليلة	خوسي سلامة (José Salama)
إسباني يهودي	إطار بنكي بمليلة	يعقوب سلامة (Jakob Salama)
مغربي	شخصية ريفية	الأزماني (المعروف بالقط) (Al azmani)

يقدم الجدول أسماء مؤسسي "الشركة الإسبانية للاستيطان" باعتبارهم يمثلون أكبر المستثمرين في القطاع الزراعي بالكارت، ويلاحظ هيمنة ممثلي "الشركة الإسبانية لمعادن الريف"، باعتبار أنهم أصحاب رساميل كبيرة، اغتنوا مسبقا من استغلالهم لحديد جبل ويكسان، لذا نقلوا استثماراتهم إلى القطاع الزراعي إدراكا منهم بالأرباح التي سيجنونها منه، كما أن لهم خبرة في الاستغلال الاستعماري بالريف، وتربطهم علاقات وطيدة مع أبناء المنطقة خاصة من قبيلة قلعية. إلى جانبهم نجد أغنياء مليلة من التجار اليهود وهم أربعة يهود من أصل أربعة عشر عضوا مؤسسا لهذه الشركة، ولعل هذا ما يفسر ما سبقت الإشارة إليه من هيمنة اليهود على الأراضي الزراعية بالكارت بنسبة بلغت 18,83%، كما أن حضور اليهود في الريف إلى جانب الاستعمار الإسباني يطرح تساؤلات عديدة تستوجب البحث والتنقيب في دراسات تاريخية مستقلة. إلا أن أهم ما يثير الانتباه في الجدول أعلاه هو حضور مستثمر مغربي ريفي في مجلس إدارة الشركة الإسبانية للاستيطان ويسمى "بالأزماني Al azmani" وهو من أعيان المنطقة، وتعتبره "MADARIAGA" مستوطن مدجن. "لكن ما الذي دفع إسبانيا إلى إشراك مغربي ضمن شركة استعمارية؟ الجواب نجده عند الأستاذ علال زروالي: «وقد كان الإسبان يهدفون من وراء تكوين هذا الاتحاد مع هذه الفئة من الفلاحين المغاربة إيهام الأهالي بإشراك الريفيين في الاستفادة من إنتاج أرضهم، ومن ثم ضمان

مساهمتهم في تنفيذ بعض الأشغال الفلاحية، وتجنب ثوراتهم التي كثيرا ما كانت تتلف كل إصلاح أو استصلاح يقومون به¹⁹، وهذا معناه أن إسبانيا سعت إلى ضمان استغلال ثروات الريف عبر توظيف أبنائه إلى جانبها، وهنا يبرز دور العملاء من الريفيين وهم كثر، طغت عليهم مصالحهم الخاصة، فانساقوا وراء المستعمر دون أدنى اعتبار لإخوانهم المقاومين ولا لأرض أجدادهم.

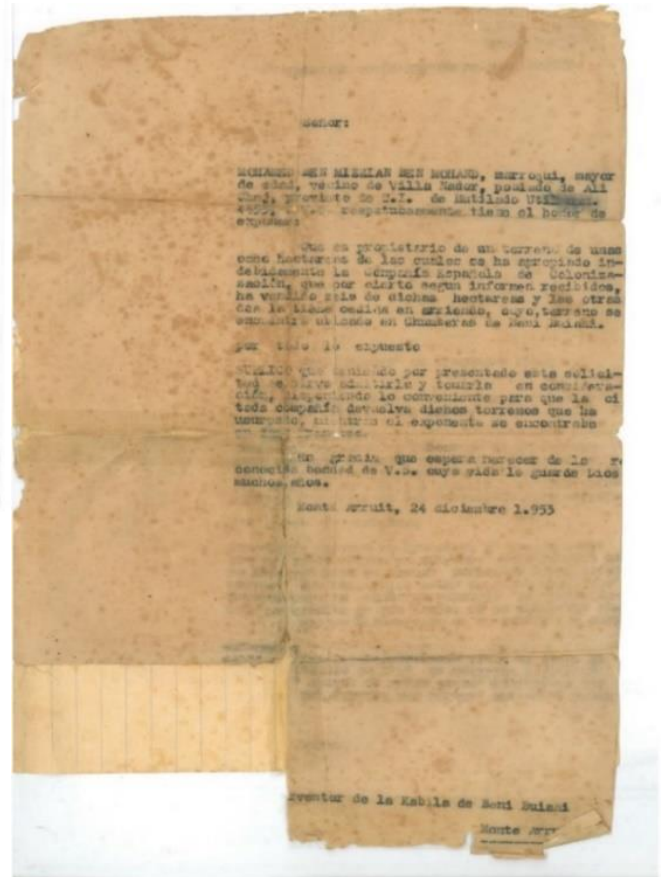
بدأت "الشركة الإسبانية للاستيطان" استغلال الأراضي الفلاحية بالريف الشرقي، وقد ارتكزت استثماراتها في ثلاث قرى تنتمي إلى سهل الكارت وهي: جبل العروي ومنطقة "يرسان" وقرية "الأوطا". وحسب ميمون أزيزا فإن الشركة قد عملت على مصادرة وشراء الأراضي في محيط مليلة وخاصة بجبل العروي مركز سهل الكارت، وقد بلغ مجموع الأراضي التي امتلكتها الشركة 27000 هكتارا في سهل الكارت فقط²⁰. كما استعملت طرقا أخرى للسيطرة على أراضي الأهالي، امتزجت فيها سياسة الترغيب بالترهيب، فسياسة التخويف باستخدام العنف، أو استخدامه في كثير من الحالات، دفع الساكنة إلى مغادرة أراضي الكارت والتوجه إلى المناطق الجبلية. أما الطرق القانونية فاعتمدتها في الاستيلاء على أراضي الموات والتي قالت بغياب أصحابها، فأعطت لنفسها الحق في الاستيلاء عليها، ونحن نعلم أن غالبية الأراضي بسهل الكارت لم تكن مستغلة في الزراعة وذلك لكون غالبية ساكنة بني بويحيي بدو رحل، يعملون في الرعي أكثر من الزراعة، لذا كانت السلطات الاستعمارية مدركة لهذه الوضعية مما مكنها من السيطرة على مساحات شاسعة دون وجه حق. ونورد في هذا الصدد وثيقة رسمية تعود لسنة 1953 لصاحبها محمد أمزيان بن محمد بن أحمد، يتقدم من خلالها بشكوى ضد الشركة الإسبانية للاستيطان.

الصورة 2 وثيقة تبرز رفع مواطن من بني بويحيى لشكوى ضد الشركة الإسبانية للاستيطان لاستعادة أرضه 1953



المصدر: وثيقة رسمية بالإسبانية مع الترجمة تعود لوالدنا رحمة الله عليه السيد محمد أمزيان بن محمد بن أحمد

تؤرخ الوثيقة ل 24 دجنبر 1953 (أي خلال الفترة الاستعمارية) من خلالها تقدم السيد



الهكتارين المتبقين.

محمد بن مزيان بن محمد إلى السلطات الاستعمارية الإسبانية برسالة استعطاف، يطالبها فيها بتمكينه من أرضه البالغة مساحتها ثمان هكتارات، والتي سيطرت عليها "الشركة الإسبانية للاستيطان" دون وجه حق، وقامت ببيع ست هكتارات (6هـ) منها، في حين عملت على كراء

نورد هذه الوثيقة من باب الأمانة التاريخية، ومن خلالها ندرك طبيعة الوسائل التي استخدمتها إسبانيا للاستيلاء على أراضي المغاربة من أبناء قبيلة بني بويحيى، وهو الأمر الذي سيحدث تغييرات جذرية على المجال والانسان بسهل الكارت، « اضطر بعضهم إلى مغادرة مساكنهم في اتجاه الجبال والغابات، والتخلي عن الحرث وإهمال المزروعات، مخافة التعرض لضربات الجيش الإسباني»²¹. كما ساهم الاستيطان الزراعي في تقلص مساحة الأراضي التي كانت في ملكية الأهالي من بني بويحيى، فتحول بعضهم إلى عمال زراعيين لدى الإسبان، يتقاضون أجورا زهيدة، ويعملون كميأومين في أراضي هي في الأصل أرضهم، ليتحولوا من ملاك للأرض إلى بروليتاريا زراعية فقيرة تستغلها الآلة الاستعمارية.

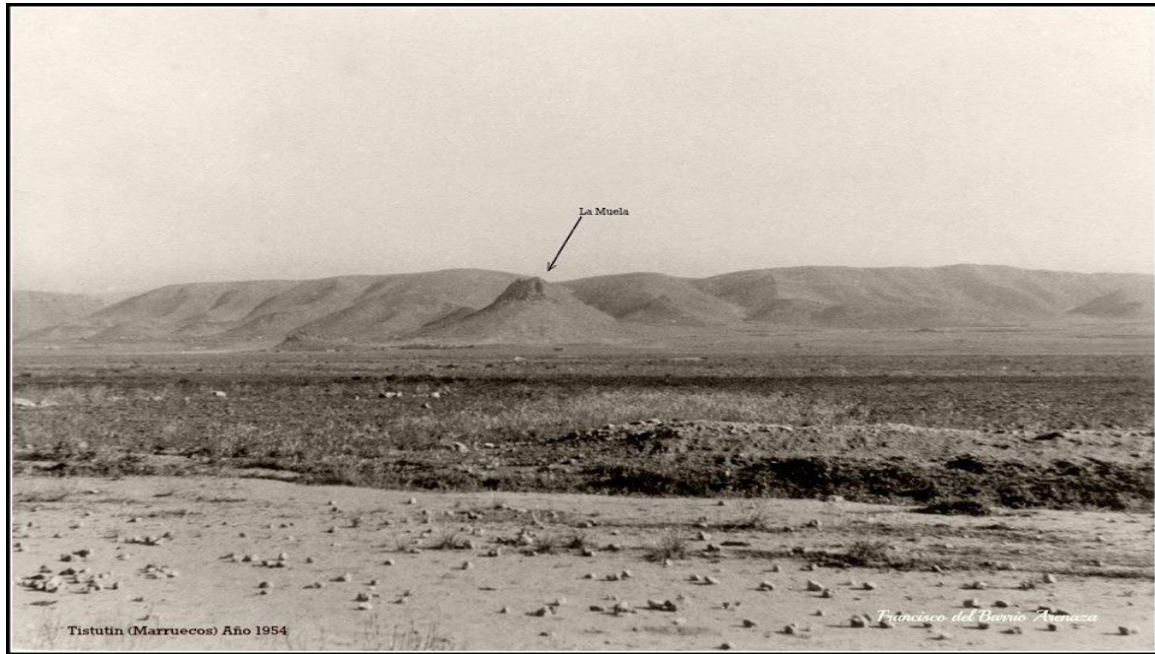
المبحث الثاني: تأثير الاستيطان الزراعي على الانسان والمجال بالكارت

انعكس الاستيطان الزراعي سلبا على الانسان والأرض بسهل الكارت، ومن خلال هذا المبحث سنحاول إبراز أهم التأثيرات الاستيطانية على توبوغرافيا الأراضي بالسهل، كما سنتطرق إلى موضوع ذي أهمية بالغة تتعلق بدور الاستيطان الزراعي في موجة الهجرات الواسعة التي شهدتها منطقة الريف المغربي عموما نحو الجزائر الشقيقة.

المطلب الأول: انعكاسات الاستيطان الزراعي على الإنسان بالريف الشرقي

وجدت إسبانيا الكارت عبارة عن مجال سهبي تغلب عليه الرتابة، فالزراعة بالكارت كانت بورية «تعتمد على التساقطات المطرية، التي لم تكن تزيد عن 300 ملم في السنة» («Estudios relaciones a la geología de Marruecos», 1921)، وهي كمية غير كافية لممارسة الزراعة باستثناء الشعير، كما تصنف المنطقة ضمن المناطق الجافة.

الصورة (3) سهل الكارت بجماعة تزطوطين سنة 1954



Source :(<https://www.facebook.com/francisco.delbarrioarenaza/photos> , 2020)

يتبين من الصورة كدية سيدي بوعزة بجماعة تزطوطين وهي تشرف على جزء من سهل الكارت، حيث الرتابة والمناظر السهبية هي الغالبة على المنظر العام، فرغم أن الصورة تم التقاطها سنة 1954 بالأبيض والأسود إلا أن الملاحظ أن الحياة الاقتصادية والاجتماعية تكاد تختفي من كل الصورة، لذا ما أن استحوذ الإسبان على أجود الأراضي، حتى أقدموا على تطبيق كل أشكال الاستغلال العصري في الميدان الفلاحي، مستفيدين من دعم إدارة الحماية التي كانت تعتبر أن وجودها مهزوزا ما لم يستند إلى دعامة من الكولون الزراعي، يضربون جذورهم

في أعماق التربة المغربية، ويشكلون بذلك ضمانا لترسيخ السلطة الاستعمارية أقوى من الضمانة العسكرية²². بدأت أولى عمليات التغيير بالكارت في اعتماد المعمرين على السقي كوسيلة لممارسة الزراعة فاستخدموا تقنية الرش (aspersion)، عبر استغلال مياه الآبار التي كان يتم ضخها عبر مضخات (pompes) تعمل بواسطة الوقود، فترتب عن ذلك تغيير في المناظر والمشاهد الزراعية أي ظهور ضيعات زراعية كبيرة تصل مساحة بعضها إلى أكثر من 500 هكتار، « وقد تركزت على جانب السكة الحديدية التي تم إنشاؤها والتي كانت تسهل على المعمرين التردد على مزارعهم وعلى تصريف منتوجاتهم »²³. كما عمل المعمرون على تنويع مزروعاتهم بالكارت، إلا أن الشعير شكّل المنتج الزراعي الأول، إذ مثّل 4/5 المساحة الاجمالية.

الجدول (5) توزيع المنتجات الزراعية بالريف الشرقي بعد سنة 1921

نوعية المنتج	المساحة بالهكتار
الشعير	20400
القمح	1650
الخرطال	1400
الجلبان	280
الذرة الجافة	207
الذرة المسقية	155
الكروم	138
الفول الجاف	126
الفول المسقي	64
المجموع	24420

Source : (Madariaga Maria Rosa, 1988, p. 386)

يلاحظ في الجدول الهيمنة الواضحة لزراعة الحبوب (الشعير والقمح والذرة...) على باقي الزراعات بالريف الشرقي، كما أن زراعة الشعير هيمنت لوحدها على أزيد من 20 ألف هكتار من المساحة المزروعة بالريف الشرقي سنة 1921، وهو ما يعني نسبة 83% من إجمالي المساحة المزروعة، ولعل لذلك علاقة بخصائص المنطقة المناخية. تبدو هيمنة الشعير كمنتوج أساسي بالريف الشرقي وبالأخص بسهل الكارت واضحة، وذلك لملاءمته مع مناخ المنطقة الجاف، فالتساقطات المطرية يصل متوسطها إلى 300 ملم. وإذا كان حضور الشعير كمنتوج رئيسي بالريف الشرقي، ومنها بسهل الكارت، أمر طبيعي، فإن الجدول والشكل أعلاه يقدمان لنا معطيات مهمة عن منتجات زراعية جديدة لم تألفها تربة الكارت منها: الكروم والجلبان والخرطال...، كما أدخل

المستعمر زراعات أخرى غير واردة في الجدول من قبيل القطن وعباد الشمس...، ولعل ارتباط هذه المزروعات بالمستعمر الإسباني تفسر بشكل أساسي باعتماد الفلاحة الكولونيالية بالكارت على السقي عبر استغلال الفرشة المائية، كما أن حاجة إسبانيا وأوروبا إلى المزروعات الصناعية كان واضحا في المشروع الاستعماري، سواء الإسباني أو الفرنسي، ومن هنا ستبدأ الأرض بالكارت تتأقلم مع أنواع جديدة من المنتجات الزراعية، ساهم وجودها في خلق تحولات على المجال والإنسان.

تأثر الانسان البويحيوي كثيرا من سياسة الاستيطان الزراعي التي نهجتها إسبانيا بالكارت، حيث فقد أرضه واضطر إلى الاستقرار عند قدم جبال زبارة وجبال كركر، فاقصر نشاطه الاقتصادي على الرعي وممارسة زراعة معاشية محدودة، فتحول بذلك من مالك لأراضي شاسعة إلى فلاح بئس يمتلك رستاقات زراعية محدودة المساحة، لا يكفي إنتاجها حتى لتلبية احتياجاته الغذائية، كما أن فئة أخرى من البويحيويين تحولوا إلى عمال زراعيين ميأومين في ضيعات المستعمر، يعملون في أراضي هي في الأصل أرضهم غير أن المستعمر اغتصبها منهم فحولهم إلى بروليتاريا بئيسة، « في مقابل اهتمام إدارة الحماية بأراضي الأوربيين أهملت الفلاحة المغربية لأن من يؤسها كانت الفلاحة الكولونيالية تستمد بعض عناصر انتعاشها، وخاصة من اليد العاملة »²⁴، بل واعتبرت الحكومة الإسبانية في ظهير ملكي بتاريخ 27 فبراير 1918، أن نمو وتطور الفلاحة الاستعمارية في المغرب يشكل متفلسا للحكومة الإسبانية²⁵، لذلك لا يمكننا أن نتصور سلطات الحماية تهتم بأراضي المغاربة، بل إنها حاصرت الضيعات الزراعية المغربية على قَلَّتْها، فأدخلت تقنيات زراعية عصرية إلى ضيعات المستوطنين، مما رفع من مردود أراضيهم، كما ارتفعت أرباحهم، في مقابل ذلك بقيت زراعة الأهالي على حالها، فعانى أهلها الفقر والتجوع واضطروا إلى التخلص مما تبقى من أراضيهم ببيعها للمستوطنين بعدد محدود من البسيطات الإسبانية (peseta) العملة الإسبانية قبل اعتماد الأورو)، فأحدث ذلك تحولا عميقا على المجتمع الريفي عموما، وعلى بني بويحيي على وجه الخصوص، إذ برزت الهجرة كحل مفروض على الساكنة، ووجهاتهم اختلفت من شخص لآخر ومن عائلة إلى أخرى، فتم التمييز بين من هاجر إلى مراكز استخراج المعادن كجبل ويكسان، وبين من اضطر للهجرة إلى المدن المغربية الخاضعة للاستعمار الفرنسي القريبة من الكارت كمدينة وجدة (حي لازاري) وفاس (حي ريفاة)، غير أن كثيرا من الساكنة فضلت الهجرة إلى خارج المغرب وبالضبط إلى الجزائر في مرحلة أولى.

المطلب الثاني: الهجرة نحو الجزائر خلال الفترة الاستعمارية: تعبير عن الخلل الذي أحدثته المستعمر في الريف

تعتبر الهجرة نتيجة حتمية للسياسة الاستيطانية التي نهجتها إسبانيا بالريف الشرقي عموما وبسهل الكارت على وجه الخصوص، ولقد أبرزنا سلفا كيف أعطى الإسبان أهمية قصوى للكارث كمجال حيوي شاسع في الريف الشرقي، لذا نجدهم يتسارعون للسيطرة عليه إما عبر الشركات الاستيطانية أو عبر المستوطنين، مما أحدث خلا في التوازنات التي كانت قائمة بين السكان البويحيانيين وبين حاجياتهم الغذائية، فأخذت وسائل العيش تتضاءل بالنسبة للفلاحين تدريجيا بسبب نقص مساحة الأراضي الصالحة للزراعة، كما ظل الفلاح المغربي خارج منظومة الإرشاد الكولونيالي، الذي ركّز على توعية الكولون الأوروبي بأهمية وضرة استعمال الأساليب العصرية في الفلاحة، كما حرص الفلاحون الأوروبيون على عدم انتقال المعرفة بهذه الأساليب العصرية إلى جيرانهم الفلاحين المغاربة، ليحافظوا على تفوق إنتاجهم، فبقي الفلاحون المغاربة يعتمدون على ما ورثوه عن أسلافهم من طرق ووسائل زراعية تقليدية²⁶، فلم تعد الساكنة قادرة على توفير احتياجاتها الأساسية نتيجة الضغط الاستعماري، فالإسبان سيطروا على معظم أراضي الكارت، مما دفع بالأهالي إلى الفرار نحو المناطق الجبلية والاستقرار عند قدم جبال كركر وجبال زياتة...

لابد من الإشارة إلى نقطة أساسية تخص ساكنة الكارت عن غيرها من ساكنة الريف الشرقي وهي: أن قبيلة بني بويحيي عُرفت منذ الأزل بترية الماشية أكثر مما عُرفت بالزراعة، فأهلها بدو رُحّل، يعيشون على التنقل بحثا عن المراعي، ومعنى هذا أن نشاطهم يتطلب مساحات شاسعة كانت تُوفرها لهم أراضي الكارت، غير أن قدوم المستعمر واستغلاله لهذه الأراضي في الزراعة قلّص من مساحة المراعي، مما اضطر بني بويحيي إلى البحث عن مصدر عيش جديد بديل للرعي، فكانت الهجرة القسرية حلا مؤقتا لهم، وشكلت الجزائر وجهتهم الأولى.

إذا كانت الهجرة ظاهرة كونية قديمة، وهجرة سكان الريف الشرقي نحو الجزائر قد بدأت على الأقل منذ منتصف القرن التاسع عشر، فإننا نجزم أن هجرة بني بويحيي - كظاهرة وليس كحالات - لم تظهر إلا مع الاستعمار الإسباني للكارث، وذلك لخصوصية هذه القبيلة عن باقي قبائل الريف الشرقي، فقبيلة قلعية مثلا والمنتمية إلى الريف الشرقي، والمعروفة بأنشطتها التجارية والزراعية، كان يهاجر أفرادها إلى الجزائر قبل قدوم المستعمر، وهذا ما يشير إليه Duveyrier بالقول: «في 18 نونبر من سنة 1852 استولى الإسبان على مركب للسلع في ملكية القلعين والذي كان متجها إلى وهران، وحيث من سنة لأخرى، يأتي عمال هذه القبيلة لكراء سواعدهم إلى المعمرين خلال فترة الحصاد²⁷»، ولعل هذا ما دفع بالأستاذ علّال زروالي للقول: «لا يمكن أن نُؤرخ لهجرة الريفين نحو الجزائر بفترة الحماية الإسبانية، لكونها كانت موجودة منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر²⁸»، إن التعميم بهجرة الريفين إلى الجزائر قبل فترة الاستعمار الإسباني يعتبر تقصيرا يستوجب التمهيد، لأن الريف الشرقي لا يضم فقط قبيلة قلعية، فقبائل أخرى تركزت في المنطقة ولم تكن تحبذ الهجرة للعمل في مزارع المستوطنين الفرنسيين في الجزائر، بل امتهنت الرعي، وعُرفت بحبها للحرية والتنقل في المجال الجغرافي للريف الشرقي بحثا عن الماء والكلأ، ونقصد هنا قبيلتي بني بويحيي ولمطالسة، وهذا ما يؤكد Celerier «إنها

ظاهرة جديدة ونادرة (أي الهجرة) لأن لمطالسيين كجيرانهم بني بويحيي هم قبل كل شيء رعاة متنقلون لم يسبق لهم أن هاجروا من قبل²⁹. كما أن القول بقدوم الهجرة بالريف الشرقي نرى فيه تبرئة للمحتل، وإزالة التهمة عنه في كونه السبب الرئيسي لطرد ساكنة الريف الشرقي نحو الجزائر، فجميع القبائل الريفية اضطرت للهجرة نحو الجزائر خلال القرن العشرين وبالضبط مع بداية الاستيطان الإسباني، وازدادت نسبة المهاجرين بعد القضاء على مقاومة الريف سنة 1926م، فهجرة قبائل الريف الشرقي وخاصة من بني بويحيي كانت قسرية، سببها الأساس هو الاستعمار الإسباني، ورفعاً لأي تعصب في المواقف، يمكننا الاستدلال على مسؤولية المحتل في النقطة الآتية:

- احتلال إسبانيا للكارت قلّص من مساحة المراعي بقبيلة بني بويحيي، وبما أن الرعي هو النشاط الاقتصادي الأساسي للقبيلة، فإن أفرادها سيضطرون للبحث عن بدائل ولعل الجزائر ستشكل أحد الحلول.
- باحتلال إسبانيا للريف تقاطر العمال الإسبان على المنطقة قادمين من الجزائر التي هاجروا إليها خلال القرن التاسع عشر، فتسبب ذلك في زيادة الضغط الديموغرافي الإسباني في الريف، مما أدى إلى عطالة أبناء المنطقة.
- أدى الاحتلال الإسباني إلى سيطرة المستوطنين على أراضي قبيلة بني بويحيي بعد انتزاعها من أهلها بطرق مختلفة - سبق أن أشرنا إليها في محور سابق - ففقد بذلك الإنسان البويحيوي مصدر رزقه الأول وهي الأرض فلم يتبقى أمامه سوى الهجرة.
- تزامن احتلال الكارت بتوالي سنوات عجاف عانت منها المنطقة - 1933 - 1930 - 1925 (1945 - 1941 - 1940 - 1934) فتربت عنها مجاعات شجعت أكثر على الهجرة.

إن مسؤولية المحتل الإسباني في هجرة ساكنة الريف وخاصة من بني بويحيي ثابتة لا ريب فيها، وما كانت هجرتهم سوى تعبير عن تحول سلبي أحدثه المحتل في عموم الريف وبالكارت على وجه الخصوص، حيث التوازن الذي ساد لقرون بين الأرض والإنسان قد اختل حين دخول عنصر أجنبي إلى المنطقة. كما أن هجرة البويحيويين إلى الجزائر لم تكن دائمة، بل كانت موسمية، وهذا ما أشار إليه موليراس... «ويأتي الريفي عندنا فقط خلال شهرين للحصول على ما يعيله بالريف خلال السنة كلها دون القيام بأي عمل³⁰»، ولعل في كلام موليراس ما يوحى على أن أجور العمال الريفيين في ضيعات الفرنسيين كانت مرتفعة، حتى أن العمل عندهم لشهرين يكفي الإنسان الريفي للعيش سنة كاملة، وهذا عكس العمل لدى الإسبان، فقد أشار ذ. علال زروالي نقلاً عن Milliot إلى هزلة الأجور التي كان يدفعها المعمار الإسباني إذ كانت تتراوح بين 3 و5 بسيطات، في حين كانت تتراوح عند المعمار الفرنسي بين 12 فرنكا و25 فرنكا منذ 1931³¹. إضافة إلى موسمية هجرة بني بويحيي نحو الجزائر (إذ كانت تقتصر على فترة الحصاد) فهي أيضاً كانت محدودة العدد، إذ بلغ عدد المهاجرين

من بني بويحيي سنة 1931 حوالي 2537 مهاجر، هاجر منهم خلال فترة الحصاد 66,92% (أي خلال شهور ماي، يونيو، يولوز وغشت)³²، وعليه يمكننا القول أن هجرة ساكنة الكارت إلى الجزائر كانت اضطرارية ومؤقتة، ستنتهي بخروج إسبانيا ونيل المغرب استقلاله، غير أن عددا منهم استمر في العيش بالجزائر إلى أن أقدم الرئيس الجزائري الراحل الهواري بومدين على طردهم سنة 1975 بعد أن استرجع المغرب صحراءه، ليبدأ الريفيون في البحث عن مجال جديد للهجرة إليه، فكانت أوروبا خيارا لغالبيتهم ولا زالت.

خاتمة البحث:

كما هو معروف؛ فالعلاقة بين الإنسان والمجال أبدية، فتارة تقوم على التعاون لضمان الاستمرارية، وتارة أخرى تتحول إلى صراع يهدد وجودهما، والعلاقة بين الكارت وبني بويحيي لا تخرج عن هذا الإطار. لذلك وانطلاقا من العمل الذي قمنا به في هذا الفصل - وهو عمل تاريخي بحث - أثارت انتباهنا مجموعة من الملاحظات حول البحث في تاريخ الريف، وتاريخ الكارت وبني بويحيي على وجه الخصوص، والتي نعتقد أنها تصلح كإشكاليات للبحث المستقبلي في الريف منها:

لاحظنا أثناء تصفحنا للعديد من الكتابات التاريخية حول الريف أنها تستمد مادتها التاريخية من مصادر إسبانية أرّخت للفترة الاستعمارية، والمشكل لا يتعلق بهذا وإنما في اعتبار مضامين تلك الكتابات حقائق مطلقة يتم اقتباسها دون أن توضع في السياق الذي كُتبت فيه ألا وهو فترة الاستعمار، ولعل هذا مما زاد في تشويه تاريخ المنطقة، فمثلا تم الاقتباس من المصادر الإسبانية الكثير من الكلمات والأسماء التي تعرضت للتحريف، خاصة أسماء الأعلام والأماكن، دون أن يبذل الباحث أدنى مجهود في البحث عن أصلها، فكانت بذلك كثير من البحوث المغربية المنجزة حول الريف سببا في تعميق التحريف الذي طال القاموس الأمازيغي. إن الانطلاق من إنجاز بحوث حول طوبونيميا الريف سيساهم لا محالة في تنقية التاريخ الريفي من شوائب الماضي، وبالتالي المساهمة في وضع تاريخ جديد للريف، ينطلق من الماضي لفهم الحاضر.

تعتبر الدراسات المنجزة حول قبائل الريف مهمة غير أنها تسير جميعها في منحى واحد يقلل من قيمة القبائل الأمازيغية، ويعيد أصلها إلى قبائل عربية دون أن يبذل أهل اللغة أدنى مجهود لتأكيد أو نفي ذلك. كما أن تمييزا تفضيليا تعرضت له بعض قبائل الريف كقبيلة قلعية، في حين عانت قبائل أخرى من تقصير في دراستها، وتهميش لدورها التاريخي سواء في مقاومة المستعمر أو في صناعة تاريخ الريف الشرقي وخاصة قبيلتي بني بويحيي وقبيلة لمطالسة.

إن إعادة كتابة تاريخ الريف صارت مطلبا ملحا، كما أصبح لزاما على الجميع المساهمة في ذلك، فليست هذه مسؤولية المؤرخ وحده وإنما هي قضية وطنية تعني المؤرخ والجغرافي وأهل اللغة وعلماء الآثار وعلماء الدين...، فالبحث في تاريخ الريف سيمكن لا محالة من التعرف على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان

قبل الفترة الاستعمارية وخلالها، مما سيساهم في إمطة اللثام عن حياة الأجداد، ومدى التغيير الذي ألحقه بهم المستعمر الإسباني، ومن خلال ذلك سنفهم مراحل التحول التي مر منها المجال والإنسان بالريف عموماً، مما سيمكننا من تقييم تدخلات الدولة بهذا المجال منذ الاستقلال إلى اليوم

البيبلوغرافيا

المراجع باللغة العربية

- 1- أحمد تفاسكا. (1998). الفلاحة الكولونيالية في المغرب 1912-1956. مطابع إمبريال.
- 2- أحمد تفاسكا. (1981). تطور الحركة العمالية في المغرب. بيروت: دار ابن خلدون.
- 3- أرشيف المركز الفلاحي بالعروي. (2018). فرز معطيات المستوطنين الإسبان. العروي.
- 4- جلال زين العابدين. (2018). مظاهر الاستغلال الاستعماري للمغرب في المجال الفلاحي خلال الفترة الفرنسية. دورية كان التاريخية، العدد 26.
- 5- جلال زين العابدين. (2015). «التحولات الاقتصادية والاجتماعية بمدينة تازة على عهد الحماية 1914-1956 م» الرباط: منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.
- 6- علال زروالي. (2001). التحولات الريفية والتمدن في الريف الشرقي. أطروحة دكتوراه منشورة. وجدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول.
- 7- علال زروالي. (1999). الهجرة من الريف الشرقي نحو الجزائر. مجلة حوليات الريف، العدد الثاني.
- 8- محمد بويقران. (2013). إسبانيا والتجربة الإستعمارية في المغرب: من ديكتاتورية ريفيرا إلى ديكتاتورية فرانكو. الرباط: مطابع الرباط نت.

المراجع باللغة الفرنسية:

- 9- Aziza Mimoun. (1994). « Le Rif sous le protectorat espagnol : 1912-1956. Marginalisation et changements sociaux : naissance du salariat ». Thèse de doctorat. Paris, Paris VIII (Vincennes Saint-Denis), France.
- 10- Bouderbala Nejib. (1974). « La question agraire au Maroc ». in B.E.S.M. n° triple 123-124-125.
- 11- Celerier. (1934). « Mouvements migratoires des indigènes au Maroc » (Vol. vol. I.). B.E.S.M.
- 12- Duveyrier H. (1987). « La dernière partie inconnue du litoral de la Méditerranée : Le Rif ». Paris: Ed. Ernest Leroux.
- 13- El khayari Thami. (1987). « Agriculture au Maroc ». Edition Okad. Imprimerie de fédala.
- 14- Madariaga Maria Rosa. (1988). « L'Espagne et le Rif : pénétration coloniale et résistances locales (1909-1926) » Thèse doctorat. T.1. Paris, Univ. Panthéon-Sorbonne (Paris 1), France.
- 15- Moulières A. . (1895). Le Maroc inconnu. Oran, Algérie.

- 16- Rachid Yechouti. (2005). «Contribution à l'étude de l'exploitation agricole dans le Rif oriental au début du XXème siècle». Tétouan: Série études spatiales, n°2. Publié avec l'Université Abdelmalek Esaadi.

المراجع باللغة الإسبانية:

- 17- «Estudios relaciones a la geología de Marruecos», (1921).. Madrid: del Beltin del instituto geológico de España.Tomo II XL de III seno.
- 18- Douhou el Hassan. (1997). « Investigaciones sobre las mutaciones del bien raiz en la llanura de Bouareg del rif oriental ». Madrid: publicaciones del Ministerio de Agricultura, Pesca y Alimentacion, serie Estudios, n° 129. .
- 19- <https://www.facebook.com/francisco.delbarrioarenaza/photos> . (2020, May 18).
- 20- <https://www.todocoleccion.net>. ((Consulté le : 20-06-2020)). Récupéré sur /coleccionismo-accionesantiguas/compania-espanola-colonizacion-1916~x110275871.
- 21- Iniguez Garrido (Fernando). (1913). « Por tierras de Marruecos. Valor Agricola de la zona espagnola ». Madrid: Ed. Hijos de Reus. Imp. Rev. Legis. y juridprud.
- 22- Munoz Torres (aciselo). (1930). «La agricultura en el Occidente de nuestra zona de protectorado» . Madrid: Africa.
- 23- Nido y Torres (Manuel del). (1925). « Marruecos : apuntes para el oficial de intervencion y de tropas coloniales ». Tétuan: Ed. Hispano-Africana.

¹ Munoz Torres (aciselo). (1930). «La agricultura en el Occidente de nuestra zona de protectorado» . Madrid: Africa. P.291.

² Iniguez Garrido (Fernando). (1913). « Por tierras de Marruecos. Valor Agricola de la zona espagnola ». Madrid: Ed. Hijos de Reus. Imp. Rev. Legis. y juridprud.p.94.

³ Bouderbala Nejib. (1974). « La question agraire au Maroc ». in B.E.S.M. n° triple 123-124-125.p.29.

⁴ El khayari Thami. (1987). « Agriculture au Maroc ». Edition Okad. Imprimerie de fédala.p.78.

⁵ أحمد تفاسكا. (1998). الفلاحة الكولونيالية في المغرب 1956-1912. «مطابع إمبريال.ص12.

⁶ Madariaga Maria Rosa. (1988). « L'Espagne et le Rif : pénétration coloniale et résistances locales (1909-1926) » Thèse doctorat. T.1. Paris, Univ. Panthéon-Sorbonne (Paris 1), France. P.341.

⁷ Aziza Mimoun. (1994). « Le Rif sous le protectorat espagnol : 1912-1956. Marginalisation et changements sociaux : naissance du salariat ». Thèse de doctorat. Paris, Paris VIII (Vincennes Saint-Denis), France. P.94.

⁸ Madariaga Maria Rosa. (1988). op.cit. P.34.

⁹ Aziza Mimoun. (1994). Op. cit. 87.

¹⁰ أحمد تفاسكا. (1998). المرجع نفسه. ص.13.

¹¹ Rachid Yechouti. (2005). «Contribution à l'étude de l'exploitation agricole dans le Rif oriental au début du XXème siècle». Tétouan: Série études spatiales, n°2. Publié avec l'Université Abdelmalek Esaadi. P.18.

¹² Douhou el Hassan. (1997). « Investigaciones sobre las mutaciones del bien raiz en la llanura de Bouareg del rif oriental ». Madrid: publicaciones del Ministerio de Agricultura, Pesca y Alimentacion, serie Estudios, n° 129. PP. 321- 347.

¹³ أحمد تفاسكا. (1998). المرجع نفسه. ص.13.

¹⁴ أحمد تفاسكا. (1998). المرجع نفسه. ص.41.

¹⁵ أحمد تفاسكا. (1998). المرجع نفسه. ص.15.

¹⁶ Madariaga Maria Rosa. (1988). op.cit. P.377.

¹⁷ Rachid Yechouti. (2005). op. cit. P. 25.

¹⁸ Aziza Mimoun. (1994). Op. cit.P. 107.

¹⁹ علال زروالي. (2001). التحولات الريفية والتمدن في الريف الشرقي. أطروحة دكتوراه منشورة. وجدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول. ص. 119.

²⁰ Aziza Mimoun. (1994). Op. cit.P. 107.

²¹ محمد بويقران. (2013). إسبانيا والتجربة الإستعمارية في المغرب: من ديكتاتورية ريفيرا إلى ديكتاتورية فرانكو. الرباط: مطابع الرباط نت. ص. 24.

²² جلال زين العابدين. (2015). «التحولات الاقتصادية والاجتماعية بمدينة تازة على عهد الحماية 1914-1956 م» الرباط: منشورات المنوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير. ص. 96.

²³ علال زروالي. (2001). المرجع نفسه. ص.119.

²⁴ أحمد تفاسكا. (1998). المرجع نفسه. ص.54.

²⁵ Nido y Torres (Manuel del). (1925). « Marruecos : apuntes para el oficial de intervencion y de tropas coloniales ». . Tétuan: Ed. Hispano-Africana.p. 161.

²⁶ جلال زين العابدين. (2018). مظاهر الاستغلال الاستعماري للمغرب في المجال الفلاحي خلال الفترة الفرنسية. « دورية كان التاريخية » العدد 26. ص. 43.

²⁷ Duveyrier H. (1987). « La dernière partie inconnue du litoral de la Méditerranée : Le Rif ». Paris: Ed. Ernest Leroux. P. 142.

²⁸ علال زروالي. (1999). «الهجرة من الريف الشرقي نحو الجزائر». «مجلة حوليات الريف» العدد الثاني. ص.127.

²⁹ Celerier. (1934). « Mouvements migratoires des indigènes au Maroc » (Vol. vol. I.). B.E.S.M. P. 237.

³⁰ Moulièras A. . (1895). Le Maroc inconnu. Oran, Algérie.P. 36.

³¹ علال زروالي. (1999). المرجع نفسه. ص.130.

³² علال زروالي. (1999). المرجع نفسه. ص.130.